الفريدُ اللفظيّ القرآني على البناء (فُعْل)
(حُوبا) أُنموذجا.

(الفريد ، اليتامى ، حوبا)

د. جنان ناظم حميد

الجامعة المستنصرية / كليّة الآداب

genanhamd@yahoo.com

Unique Quranic verbal on construction (foal) (Hopa) model

(Unique, orphans, hopa)

D. Jinan Nazim Hamid
Mustansiriya University / Faculty of Arts
genanhamd@yahoo.com

ملخّص البحث

اضطرب المفسرون في بيان معنى الحُوب في قوله تعالى : {وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَى أَمْوَلَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَلَهُمْ إِلَى أَمْوَلِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرَاً} ففُسر بالظلم والإثم والخطأ والحزن والقتل وغير ذلك. ولا يظفر بالمداليل الدقيقة لهذه النظائر إلا بعد تدبر دلالة أمثلة البناء الصرفي (فُعل) في التعبير القرآني بغية حمل اللفظة على واحد من تلك المعاني الكثيرة، وتفحّص أقوال اللغويين في مشتقات الجذر(حوب) ونظائره في باب الاشتقاق الأكبر وهي: (حوت، حوذ، حور، حوز، حوش، حوض، حوط، حول، حوم، حوى). والمقاربة بين نظائر (حوبا) في التعبير القرآني الذي عرض حرمة أكل مال اليتامى. فضلا عن تدبّر سياق التعبير القرآني الذي اشتمل على اللفظة إعرابا ودلالة .

والبحث ضمن سلسلة من البحوث المختصّة بدراسة الألفاظ الفريدة في القرآن الكريم دراسة شاملة لفنون اللغة الأربعة (الصوت والصرف والنحو والمعجم) بغية الوقوف – بنحو يُطمأنّ إليه – على المعنى الدقيق لكل منها، وهو المعنى الذي توخّاه التعبير القرآني من إيراد اللفظة فريدة بين ألفاظه المعجزة. والبحث موقن بأن تفسير اللفظ القرآني بمرادفه المعنوي أمر لم يعد مجديا في وقتنا الحاضر الذي يحتّم على طالبي العربية أن يتذوقوا الإعجاز البياني لألفاظ القرآن الكريم، وهو أمر لا يستحصل على طريقة (الكلمة ومعناها) كما دأبت عليه كثيرٌ من كتب التفسير.

Research Summary

Simmer in a statement commentators meaning Alihub in the verse : {Ouatwa orphans Omulhm , not malignant change Bettayeb do not eat Omulhm to Omulkm It was a great Hopa{the injustice and sin and error and sorrow , murder and so on. Do not accrue Balmdalal minute for these isotopes only after the management of significant examples of construction morphological (foal) to express the Qur'an in order to carry word on one of the meanings of the many, and examine the statements of linguists in the derivatives of the root (Houb) and its analogues in the door of derivation largest , namely: (a whale, helmets , Hur , possession , monsters , Bath , Hot , about , meat , Hoy) . And approach between the isotopes (Hopa) in the Quranic expression that display the sanctity of eating money orphans . As well as manage the context of the expression , which included a Quranic word expression and significance.

And research in a series of specialized research study words unique in the Koran comprehensive study of the language arts four (audio and exchange , grammar and lexicon) in order to stand -about assuring him- on the exact meaning of each of them , a sense envisaged by the expression Quranic revenue word is unique among his words miracle. Find am persuaded that the interpretation of the Quranic word Bmradfh moral is no longer useful in the present day, which makes it imperative that the Arab - seekers Atdhuqgua chart miracles to the words of the Koran , which is do not the way (the word and meaning) as it has many of the books interpretation.

الفريدُ اللفظيّ القرآني على البناء (فُعْل)
(حُوبًا) أُنموذجا.

توطئة

رُوي في سبب نزول الآية أنّ رجُلا من بني غطفان كان معه مالٌ كثير لابن أخٍ له يتيم، فلمّا بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه عنه، فخاصمه إلى النّبي (صلّى الله عليه وآله) فنزلت: {وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَى أَمْوَلَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَلَهُمْ إِلَى أَمْوَلِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} فلمّا سمع الغطفاني ذلك ارتدع وقال: أعوذ بالله من الحُوب الكبير[1]. واضطربوا في بيان معنى الحُوب ففُسِّر بالظلم والإثم والخطأ والحزن والقتل وغير ذلك. ولا يظفر بالمداليل الدقيقة لهذه النظائر إلا بعد تدبر دلالة أمثلة البناء الصرفي (فُعل) في التعبير القرآني بغية حمل اللفظة على واحد من تلك المعاني الكثيرة، وتفحّص أقوال اللغويين في مشتقات الجذر(حوب) ونظائره في باب الاشتقاق الأكبر وهي: (حوت، خوذ، حور، حوز، حوش، حوض، حوط، حول، حوم، حوى). والمقاربة بين نظائر (حوبا) في التعبير القرآني الذي عرض حرمة أكل مال اليتامى. فضلا عن تدبّر سياق التعبير القرآني الذي اشتمل على اللفظة إعرابا ودلالة .

والبحث ضمن سلسلة من البحوث المختصّة بدراسة الألفاظ الفريدة في القرآن الكريم دراسة شاملة لمستويات اللغة الأربعة (الصوت والصرف والنحو والمعجم) بغية الوقوف – بنحو يُطمأنّ إليه – على المعنى الدقيق لكل منها، وهو المعنى الذي توخّاه التعبير القرآني من إيراد اللفظة فريدة بين ألفاظه المعجزة. والبحث موقن بأن تفسير اللفظ القرآني بمرادفه المعنوي أمر لم يعد مجديا في وقتنا الحاضر الذي يحتّم على طالبي العربية أن يتذوقوا الإعجاز البياني لألفاظ القرآن الكريم، وهو أمر لا يستحصل على طريقة (الكلمة ومعناها) كما دأبت عليه كثيرٌ من كتب التفسير.

معاني صيغة (فُعْل) وأثرها في بيان دلالة (حُوبا).

كثُرت أمثلة البناء (فُـعْـل) في القرآن الكريم فجاوزت السبعين لفظة منها تسعُ ألفاظ فريدة في مادّتها اللغويّة، وقد تلمّس ذوو الصنعة[2] عدّة دلالات لأمثلة هذا البناء، أذكر منها:

أولا: فُعل اسما إفراديّا، وأمثلته من الفريد اللفظي اسمان هما (الجُبّ والنون)، وأما المردّدة اشتقاقيا فجاوزت العشرة منها: (أُم، جُزء، الحُوت، رُكن، رُوح، صُلب، الطور، الصور، الفلك، وُدّ). فأما الجُبّ فهو من الجَبّ وأصله القطع والاستئصال[3]، وصرح صاحب العين[4] بأنّ الأصل في الجَبّ هو استئصال السَّنام من أصله، فيقال: بعير أَجَبُّ وأنشد[5]:

ونَأْخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيْسَ له سَنَامُ

ويبدو أنّ استئصال سنام البعير كناية عن سعة ظهره فيحمل عليه أكثر من ذي السنام، ثمّ أفاد العرب من هذا المعنى فتوسّعوا في استعمال مشتقّات الجذر (جبب) في كل قطع يؤول إلى سعة الوعاء ومدّ الظرف ومنه جُبّة الرمح وهي ما دخل من السنان فيه. والجُبَّةُ: التي تلبس، وجمعها: جِبَابٌ. والجُبَّةُ: من أسماء الدروع، وجمعها: جُبَبٌ. وقال الراعي[6]:

لَنَا جُبَبٌ وأَرْماحٌ طِوَالٌ بهِنَّ نُمَارِسُ الحَرْبَ الشَّطُونَا

ويبدو أن الجُبّ " سُميت جُباً لأنها قُطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطْعِ من طيٍ وما أشبهه"[7] . ومن ثم فرّقوا بينها وبين البِئر بأن الجب هو البئر التي لم تطوَ أي ؛ لم تُبْنَ بالحجارة[8] . وهذا هو الفرق الرئيس بينه وبين البئر التي هي مؤنثة في القرآن الكريم في قوله تعالى {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج: 45]، على حين "الجبّ مذكّر فإن رأيته مؤنثا فاذهب بتأنيثه إلى البئر "[9] .

ولما كانت البئر مطوية بالحجارة فإن ماءها ينبجس من قاعها ولا ينفذ إليها ماء المطر والسيل كما في الجبّ الذي هو وعاء في جوف الأرض يستوعب الماء لمدة معينة. وقد صرحوا بأن الجب " البِئْرُ غيرُ البَعِيدةِ"[10] .

وأما الفرق بين النون والحوت فالتعبير القرآني صريح بأن النون أشرف من الحوت إذ استعمل النون في سياق سورة الأنبياء وهو سياق يعرض مِنن الله تعالى على أنبيائه ولطفه بهم وهو ثناء ومدح فضلا عن كونه خطابا مباشرا لعرض قصة يونس، بخلاف ما في سورة القلم التي ورد فيها ذكر (صاحب الحوت) عرضا من باب التشبيه فأمر الله تعالى النبي محمدا (صلّى الله عليه وآله) بالصبر على أذى قومه ونهاه عن أن يكون كـــ(يونس) لمّا هرب من قومه داعيا عليهم بالهلاك فأقدم على ما يلام عليه {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ} [الصافات:142]. ففي سورة القلم ذُكر صاحب الحوت في معرض اللوم والخطاب للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم:48-50]. والمحصّل من هذا أن الباري عزّ وجلّ "يقول: لا تعجل كما عَجِل، ولا تغضب كما غضب"[11]. وذكر اللغويون أنّ الحوت: السمك دون الإشارة إلى حجمه[12]، وقال ابن سيده: " وقيل هو ما عظُمَ منه "[13]. واستعمل التعبير القرآني الحوت دالا على الكبير والصغير من السمك في قوله تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: 163]. أما النُّون فأجمعوا على أنّه مختصّ بالسمك الكبير. وذكروا أن الوصف بـــ(ذو) أبلغ من الوصف بـــ(صاحب) والإضافة بـــ(ذو) أشرف منها بـــ(صاحب)، فإن (ذو) يضاف للتابع

و(صاحب) يضاف للمتبوع تقول: أبو ذر صاحب النبي، ولا تقول النبي صاحب أبي ذر، أما (ذو) فتقول: ذو المال وذو العرش، فتجد الاسم الأول متبوعا لا تابعا[14].

ثانيا: فُــعْــل جمعا: وله بين ألفاظ القرآن الكريم الفريدة جمعان هما (زُرق ومُزن) وأما المردّدة اشتقاقيا فجاوزت ألفاظه العشرة منها: (البُدن، بُكم، بُور، حُمر، حُور، خُضر، سُود، سُوق، صفر، صُمّ، عُمي، غُلبا، لدّا). وذكر ذوو الصنعة أن الأصل في أمثلة هذا البناء الجمعي أن تطَّرد في الوصف (أفعل) الذي مؤنثه (فَعلاء) الدالّين على العيوب والحلي والألوان[15]. فالعُيوب كما في قوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} [البقرة: 18] والحُليّ كما في قوله تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة: 22] وهو جمع أحور وحوراء. واللون كما في قوله تعالى:{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ}[الإنسان:21].

وورد فُعل جمعا في القرآن الكريم في غير الحُليّ والعيوب والألوان كما في {وَحَدَائِقَ غُلْبًا} [عبس: 30] وهو جمع غلباء يقال: " حديقةٌ غَلْباء: ملتفَّةٌ"[16].

ومن الألوان الواردة في القرآن الكريم فريدة في مادّتها اللغوية ما في قوله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه: 102]. إذ اختلفوا في المراد بالزرقة على أوجه ذكرها الرازيّ[17] نقلا عن أهل التأويل، أوّلها نُقل عن الضحاك ومقاتل وهو أنّ المراد بزرق العيون هو سود الوجوه، وهي زرقة تتشوّه بها خلقتهم والعرب تتشاءم بذلك، وهذا مقدمة لفقد الحواس كالنظر والسمع والنطق المشار إليها في آية أخرى {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: 97]. وثانيها: نُقل عن الكلبيّ أنّ المراد من الزرقة هو العمى، واستظهره الزّجّاج فقال: " يخرجون بُصراء في أول مرة ويعمون في المحشر. وسواد العين إذا ذهب تزرقّ "[18]. وثالثها: نُقل عن أبي مسلم أنّ المراد بهذه الزرقة شخوص أبصارهم والأزرق شاخص لأنه لضعف بصره يكون محدقاً نحو الشيء يريد أن يتبينه وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره وهو كقوله تعالى: {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبصار} [إبراهيم: 41]. ورابعها: رواه ثعلب عن ابن الأعرابيّ أنّ زُرقاً بمعنى (عطاشاً) ذلك أنّهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حتى تزرقّ ويدلّ على هذا التفسير قوله تعالى: {وَنَسُوقُ المجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً}[مريم:86]. ويبدو أنّ ذكر الزرقة من لوازم الضرب الشديد على الجسد فهؤلاء يضربون بشدة أثناء سوقهم إلى جهنم حتى لتزرقّ أجسادهم من شدّة الضرب ولا يعقل أن يقصر اللون على عضو واحد هو العين التي لا تُرى الزرقة فيها إلا من قريب، والحال أن المؤمنين لا يرون زرقة المجرمين إن كانت مقصورة على العيون إلّا إن كانت ظاهرة على أجسادهم كلّها.

وورد (فُعْل) جمعًا لمفردات أخرى غير الصفات (أفعل فعلاء) بعضها من الفريد القرآني وهي المزن في قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} [الواقعة: 69]

وفسّروا المزن بالسّحاب ولم يفرقوا بينهما إلا قليلا، جاء في العين " مَزَنَ فلانٌ يَمْزُنُ مزوناً، إذا مضى لوجهه. والمُزْنُ: السَّحابُ، والقطعة: مُزْنة "[19] . وقال الراغب: المزن "السحاب المضيء والقطعة منه مزنة "[20] . وقال الزمخشريّ : "المزن: السحاب: الواحدة مزنة. وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء"[21] . ويبدو أنّ المُزن إنّما "سُمِّيَ مُزْناً لمُزُونه أي مَضَائه"[22] . وأصل " المزْنُ: الإسراع في طلب الحاجة"[23]. وواضح أنّ السحاب من السّحب أي التحرّك في السماء وحركتها ظاهرة للعيان فشبّه بها ما كانت حركته خفيّة كالجبال في {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل: 88] والسحاب ماؤها فيها لا يسقط إلا بعد بسطها في السماء وتراكم بعضها إلى بعض فيخرج ماؤها بتدافعها كما في الآيتين: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [النور: 43] و {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [الروم: 48]. أي أنّ السّحاب إن لم يلزم منه نزول المطر فهو سحاب لأنّ الرياح تسحبه فإن نزل مطره فهو مُزن لما فيه من تحقق الحاجة سريعا أي إن المزنة هي سحابة تجري بالمطر النازل لتعم الفائدة منها ولو لم تجر لأغرقتهم.

وثمة جموع أخرى من المردّدة اشتقاقيا جاءت على هذا البناء ومفردها ليس على أفعل فعلاء، ومنها (البُور) في [الفرقان:18] وهو جمع بائرٍ بمعنى هالك[24] و(البدن) في [الحج: 36] وهو جمع البَدَنَةُ من النوق والبقر التي تُنحَر للهدي[25] . و(السُّوق) في [ص:33] هو جمع ساق[26]. و(هُودا) في [البقرة111] و "هود في الأصل جمع هائد أي تائب وهو اسم النبيّ عليه السلام"[27].

ثالثا: فُعل اسم جنس يفرّق بينه وبين واحده بالياء المشددة، ومنه من الفريد القرآني (الروم) في قوله تعالى: {غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم: 2]. " والرُّومُ جيل معروف واحدهم رُوميّ يَنْتَمون إلى عِيصُو بن إسحق النبي عليه السلام، ورُومانُ بالضم اسم رجل قال الفارسيّ: رُومٌ ورُومِيّ، من باب زَنْجِيّ وزَنْج، قال ابن سيده: ومثله عندي فارِسيّ وفُرْسٌ، قال: وليس بين الواحد والجمع إلا الياء المشدّدة كما قالوا: تمرة وتمر ولم يكن بين الواحد والجمع إلا الهاء"[28]. ومن المردّد اشتقاقيا (الجُند) في قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ} [يس: 28] والواحد جنديّ، إذ " يقال للعسكر الجند... وجمع الجند أجناد وجنود "[29].

رابعا: فُعل اسم جمع لا واحد له من لفظه، ومثاله من الفريد اللفظي (خُبز، فُوم) ومن المردّد اشتقاقيا (دُهن).

خامسا: فُعل صفة، ومثالها من الفريد اللفظي (الحُرّ). ولم أجد لها نظيرا من المردّد اشتقاقيا.

سادسا: فُعل حكاية صوت ومثاله من الفريد اللفظي (أفّ) وهو " صوت يدل على تضجر"[30]. ثم اشتق من حكاية هذا الصوت فعل على سبيل النحت فقيل: أفّف الرجل: إذا قال: أُف. كما قيل: لبّى المُحرم، إذا قال لبيك[31].

سابعا: فُــعْل مصدرا. وقد جمع سيبويه أمثلة (فُعل) من المصادر على معنى النقص والتمام أو القبح والحسن[32]. ومن ثم لم يُسلّم البيانيون بأنّ المصادر التي على (فُعل) ذات دلالة مطابقة لغيرها من المصادر التي سُمعت مرادفة لها كالخُسر والخُسران، والكُفر والكُفران، والشُّكر والشُّكران، والحُكْم والحِكْمة. بل وردت لديهم التماعات دلالية فرقوا فيها بين أمثلة (فُعل) وغيرها من المصادر فهم " لا يكادون يقولون: السُّخْف، إلا في العقل خاصة، والسَّخافةُ عام في كل شيء."[33]. و" السُّدّ بالضم ما كان من خَلْق الله، وبالفتح ما كان من عَمَل بني آدم."[34].

ويبدو أنّ مجيء المصادر على أوزان الجموع في أمثلة (فُعْل) يوحي إلى وجود تقارب في الدلالتين، وهذا واضح من قول سيبويه في هذه المصادر: إنّها تفيد الحسن والقبح، ومن شيوع أمثلة الجمع (فُعْل) في ما كان وصفا على (أفعل فعلاء) دالا على عيب أو حلية وأما الألوان فداخلة في العيوب والحلي. فالدلالة واحدة بين المصادر والجموع التي على (فُعْل). يعضد ذلك أن المصدر يصلح لوصف الجمع كما في قوله تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} [النساء: 128] والشُحُّ: البُخْل مَع حِرْصٍ. تقول: شَحِحْتُ بالكسر تَشَحُّ، وشَحَحْتَ أيضاً تَشُحُّ وتَشِحُّ[35]. "ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها، والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحبّ غيرها"[36].

وقد كثرت مصادر الثلاثي التي على فُعْل في القرآن الكريم ومعظمها من المردّد اشتقاقيا وهي: (بُعدا، جُهد، جُوع، حُبّ، حُزن، حُسن، حُكم، خُسر، خُلد، ذُّل، رُحم، رُشد، رُعب، زُور، سُؤل، سُحت، سُحق، سُوء، شُرب، شُكر صُبح، صُلح، صُنع، ضُرّ، ظُلم، عُذر، عُرف، عُسر) وغيرها.

وأما لفظة (حوبا) فسياق التعبير القرآني الذي اشتمل عليها يجيز كونها اسما أو مصدرا. وما يرجح كونها اسما أن في اللفظة قراءتين إذ قرأ الجمهور (حُوبا) بالضم " وهي لغة النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} وأهل الحجاز، يدل عليه ما روى أبو عبيد عن عباد بن عباد عن واصل مولى ابن عيينة قال: قلت لابن سيرين كيف يُقرأ هذا الحرف: إنه كان حُوباً أو حَوباً؟ فقال: إن أبا أيوب أراد أن يطلق أمّ أيّوب، فقال له رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم}: "إن طلاق أم أيوب حُوب"[37]. وقرأ الحسن: (حَوباً) بفتح الحاء ولكنها وجهت لدى فريق من الكوفيين بأن (الحَوب) مصدر كالحُوب وهما لغتان بمعنى الإثم، إذ قال الطبريّ: " وأما

الحُوب فإنه الإثم، يقال منه: "حاب الرجل يَحُوب حَوبًا وحُوبًا وحِيَابة، ويقال منه: قد تحوَّب الرجل من كذا، إذا تأثم منه "[38]. ونُقل عن مقاتل أنّ المفتوح: لغة أهل الحبشة[39]. وعزا القرطبيّ[40] إلى الأخفش موافقته الفراء والكوفيين في إنّ الفتح لغة أخرى في الحوب وكلاهما مصدر، ولم أتبيّنه في كتابه. واختار أكثر المتأخرين[41] هذا التوجيه فأخرجوا اللفظين على اللغات معتمدين على ما آلت إليه أقوال المعجميّين كالجوهريّ في قوله: " الحوبُ: بالضم: الإثم ؛ والحابُ مثله "[42]. على حين " قال البصريون: الحَوب بفتح الحاء مصدر، والحُوب بالضم الاسم، والحَوبة، المرة الواحدة، ثم يدخل بعضها في البعض كالكلام فإنه اسم، ثم يقال: قد كلمته كلاما فيصير مصدرا "[43]. واختار فريق منهم الطوسيّ والطبرسيّ مذهب البصريين ففرقوا بين الضم والفتح بأن الحُوب هو الاسم ومن قرأ بالفتح ذهب إلى المصدر[44]. وصرّح ابن عطية وغيره بهذا ولم يختره فقال: " وقيل: الحَوب بفتح الحاء المصدر وبضمها الاسم "[45].

وقرأ أُبَيّ بن كعب: (حاباً) وفيها أوجه: الأول: إنّ الحاب مصدر بمعنى الحَوب، إذ قال الفراء: " الحُوب لأهل الحجاز،والحَاب لتميم "[46]. وقال الزمخشريّ: " الحَوب والحَاب كالقَول والقال "[47]. وفي هذا فرق بينهما وبين (الحُوب) الذي هو اسم بمعنى الإثم. والثاني: إن الحاب اسم أيضا كالحُوب بمنزلة النُّور والنار فيقال للذنب حُوب وحاب، قال ابن فارس: "الحاء والواو والباء أصلٌ واحد يتشعّب إلى إثم، أو حاجة أو مَسكَنة، وكلها متقاربة. فالحُوبُ والحَوب والحَاب: الإثم "[48]. والثالث: أن تكون هذه الثلاثة وغيرها مصادر، فيقال: حاب يحوب حُوباً وحَوباً وحَاباً وحؤوباً وحيابة إذا أثم[49]. وأنشدوا للمخبّل السعدي[50]:

فلا يَدْخُلَنَّ الدَّهْرَ قَبْرَكَ حُوبُ فَإنَّكَ تَلْقَاهُ عَلَيْكَ حَسِيبُ

والآخر[51]:

وإنّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاتَئِذٍ لَقَدْ خَطِئَا وَحَابَا

وفي الوجهين الثاني والثالث يكون كلّ من الحُوب " وكذلك الحَوب والحاب ثلاث لغات في الاسم والمصدر "[52].

وكان ابن جني قد ألمح إلى أنّ ضم فاء الكلمة يدلّ على المعاني الثقيلة الشديدة الوطأة على النفس وأن الكسر أقلّ وطأة على الأسماع – ربما لارتباطه بغير العقلاء – من الضم وأما الفتح فأخف الجميع، إذ يوحي بالسعة والخفة والشيوع لانصرافه للدلالة على المصدر المجرد من الحدث. يقول ابن جني: " الذِّلُّ في الدابّة ضدّ الصُّعوبة، والذُّلُّ للإنسان وهو ضد العزّ، وكأنَّهُم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابّة لأن ما يلحق الإنسان أكبرُ قدرا ممّا يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوّتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة "[53]. وعلى هذه الشاكلة سار الحذّاق من المفسّرين واللغويين في ربطهم ضم أول البناء (فُعْل) بالدلالة على

أفعال العقلاء الراسخة لديهم أو الثقيلة عليهم، وألمحوا إلى أنّ كسر أول البناء أو فتحه أخف دلالة من الضم لأنه ينصرف غالبا إلى غير العقلاء أو يدلّ على حالة طارئة عليهم. فـــ(الجُهد) ورد في التنزيل العزيز مضموم الفاء ومفتوحها، ومع ضم الجيم يقترن المعنى بالعقلاء المدركين المدبّرين، إذ ورد راسخا لأصحابه لا ينفك عنهم لأنه طاقتهم وقدرتهم كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة: 79] فالجُهد بالضم هو اسم لما وسعت الطاقة وما استطاعت القدرة. وأمّا مفتوح الفاء فهو مصدر مجرد من الحدث يوحي بأنّ المراد هو الدوام على الفعل المنكر حتى التعب والمشقّة في الإصرار على الإتيان به. ومن هنا ورد الجَهد في سياق الذم واللعن في التركيب (جهد أيمانهم) المكرر في خمسة مواضع من التنزيل العزيز تعرض إصرار الكافرين على باطلهم. وبعد هذا لا معنى لما ذهب إليه فريق منهم من إن الجهد والجهد لغتان وإن الضم لغة الحجاز والفتح لغة غيرهم ومن ثم قرئ بهما قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ بل الفرق واضح بين اللفظين فكأنّ الضمة في مبتدأ هذه الألفاظ توجه الحدث مكانيا وهذا يقربه من المحسوسات والماديات من مقادير حجوم ومساحات ، فـــ(الضُّرّ) اسم لما يصيب الناس من أذى كبير كما في قوله تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء: 83] و { يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ } [يوسف: 88] . على حين يعم معنى الضَّر والضَّرر ولا يقيدان بزمان أو مكان كما في قوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188] و {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ } [النساء: 95] .

وكذا الفرق بين السَّوء والسُّوء فالمضموم ملامس للناس مشعور به لتقيده بالزمان والمكان وهو الذي يكشفه الله عن المؤمنين كما في الآيات: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: 62] و{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمر:61] و{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 24] . بخلاف المفتوح الذي هو حدث مجرد ليس مقيدا بزمان ولا مكان كما في الآيات: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 98] و{لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النحل: 60] و{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان: 40] و{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا

وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} [الفتح: 12] . فالحوب المضموم الفاء هو اسم استعمل في الآية المباركة ليتناسب مع دلالتها على الظلم المادي الواقع على اليتامى وهو الجور الذي تلحظ تبعاته على البشر من فقر الحال وشظف العيش وفقد المأوى ومنع الطعام .

حوبا لدى اللغويين

تعددت المعاني التي ذكرها اللغويون في بيانهم معانى مشتقات الجذر (حوب) بعضها من المحسوس وأكثرها جار في المعنويات. ويمكن تتبّع التطور الدلالي لمشتقات هذا الجذر الكثيرة كما ذكرها اللغويون دونما ترتيب بالقول: إنّ الأصل في المادة (حَوْبِ) هو إنها كلمة زَجْر للبَعير ليَمْضِي، ويقال: (حلِ) في زجر الناقة، والعربُ تَجرُّ (حوب) ولو رُفِع أو نُصِب لجاز، لأنّ الزّجْرَ والأصوات والحكايات تُحرَّك أواخِرُها على غير إعرابٍ لازم، فإذا حُوّل من ذلك شيء إلى الأسماء حُمل عليه الألف واللاَّم، وأُجرى مجرى الأسماء كقول الكميت[54] :

هَمَرْجَلَة الأَوْبِ قَبْلَ السِّيَا طِ والحَوْبُ لَمَّا يُقَلْ والحَلُ

ثم صار الحَوْب بمعنى الضخم من الجمال، قال الفرزدق[55]:

وَمَا وُجِعَتْ أزْدِيّةٌ مِنْ خِتَانَةٍ، وَلا شَرِبَتْ في جِلدِ حَوْبٍ مُعَلَّبِ

والمعلَّب الذي شُدَّ بالعلباء[56]. أي ؛ إنّ الأصل في (حوب) هو زجر الجمال ثم توسعوا فيه فصار يطلق على الجمل الضخم منها دون غيره ربما لأنه إن زجر بهذه اللفظة انزجرت سائر الإبل لأنّه الضخم منها.

وذكر اللغويون معاني أخرى كثيرة لا رابط بينها من النظرة السريعة، ولكن مع النظرة الفاحصة يظهر أثر ذلك الرابط وهي: الحَوْبةُ والحَوْبُ: الأبوان[57]. والحَوْبة: هي الأُمُّ والأُخْت والبِنْتُ. فيقال: لفلانٍ في بني فلانٍ حَوْبَةٌ وحِيْبَةٌ[58]. والحُوبة: رِقَّةُ فُؤادِ الأُمِّ[59]. ويبدو إن إطلاق مشتقات هذا الجذر على الأبوين والأقارب مراعيا فيه عظم الشأن فكما إن الحوب هو الجمل الضخم الذي توجّه له العناية والاهتمام – وإن كان زجرا – كذلك الحوب والحوبة بمعنى الأب والأم لعظم شأنهما بين أهل البيت. وأما انتقال دلالة اللفظة على الحاجة والمسكنة والحرمة فتطور لدلالتها على الأبوين والأقارب الذين يحتاج أحدهما الآخر لا سيما الكبار منهم والنساء ومن ثم قالوا: والحُوبة: الحاجَةُ، والحائبُ: المُحْتاجُ. وفي الدُّعاء: أَلْحَقَ اللهُ به الحَوْبَةَ. وارْحَمُوا الحَوْباتِ: أي النِّسَاءَ المُحْتاجاتِ[60]. ومنه الحديث أَن رجُلاً أَتَى النبيَّ صلى اللّه عليه وآله فقال إِني أَتيتُك لأُجاهِدَ مَعَكَ فقال أَلَكَ حَوْبةٌ ؟ قال: نعم، قال: فَفِيها فجاهِدْ، قال: أَبو عبيد يعني ما يَأْثَمُ به إِنْ ضَيَّعه من حُرْمةٍ إِن تَركَها مَن أُمٍّ أَو أُخْتٍ أَو ابْنةٍ أَو غيرها[61]. والحُوبة: المَسْكَنَةُ[62]. والحرمة[63]، يقال: فعلت كذا لحوبة فلان أي لحرمته وحقه. ويبدو أن

مشتقات اللفظة استمرت في التطور من الحرمة والحاجة إلى الإثم والذنب فأطلقت الحوبة على ما يأثم الرجل إن لم يراعه[64]. قال الفرزدق[65]:

فهَبْ لي خُنَيْساً واتَّخِذْ فيه مِنَّةً لِحَوْبَةِ أمٍّ ما يَسوغُ شَرابُها

والحُوبُ: الإثمُ الكبير[66]. وسُوْءُ الحال. والحُزْنُ[67]، يقال: بات فلان بحَيْبَةِ سَوْءٍ، إذا بات بحالِ سَوْءٍ، وقد قالوا: حَوْبَة سَوْءٍ[68]. وحابَ يَحُوْبُ حِيَابَةً وحَوْباً وحُوْباً وحابَاً: أي أثِمَ، وأَحْوَبَ الرَّجُلُ: جاء بالحُوْبِ، وتَحَوَّبَ تَحَوُّباً، وتَحَوَّبَ الرَّجُلُ: ألْقى الحُوْبَ عن نَفْسِه[69]. ثم تطورت أكثر من الإثم والذنب لتصل إلى القتل فقالوا: الحائبُ: القاتِلُ[70].

والمفهوم من التطور الدلالي لهذه المشتقات أن لفظة (الحوب) استقرّت على معنى الإثم العظيم قبل أن توصف بـــ(كبيرا) في الآية الكريمة ولما وصفت بالكبير صار معنى (حوبا كبيرا) الكبير من الآثام العظام، ودلالة هذا التركيب تشبه تماما دلالة التركيب (الطود العظيم): في قوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء: 63] والحنث العظيم في قوله تعالى: {وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 46] فالطود هو العظيم من الجبال ومع وصفة بالعظمة يختص معناه بأعظم الجبال كافة[71]، والحنث هو الذنب العظيم لا مطلق الذنب ووصف بالعظيم للمبالغة في وصفه بالعظم[72]. فالمحصل من نعت الحوب بلفظة " {كَبِيراً} مبالغةٌ في بيان عِظَمِ ذنبِ الأكلِ المذكورِ"[73]. وما يعضد عظمة الحوب مجيؤه منونا في الآية " وتنوينه للتعظيم أي حوباً عظيماً، ووصف بقوله تعالى: {حُوباً كَبِيراً} للمبالغة في تهويل أمر المنهي عنه كأنه قيل: إنه من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها"[74]. أي إنّ الحوب أصله من حوب الأبل، وهو زجرها فسُمِّي به الإثم ؛ لأنه يزجر به، ويطلق على الذَّنب أيضاً ؛ لأنه يُزجر عنه. واللفظة دلّت بوزنها على المساحة المادية الملموسة وبجرسها الذي ثلثته الباء على تناول الأكل بمعناه الحسي لما فيها من إطباق شفويّ وبتتابع تشكيلها الصوتي من الحاء والواو والباء على جمع الشيء من باطل ، واحتيجت اللفظة إلى تحديد حجم الباطل بالقياس المادي فجاءت الصفة (كبيرا) لتحديد مقدار ما جُمِع من باطل بهذه الطريقة وهي الأكل من أموال اليتامى.

نظائر حوبا في باب الاشتقاق الأكبر

تكاد تجتمع نظائر الجذر (حوب) في باب الاشتقاق الأكبر على معنى عام هو الإحاطة بالشيء بغية جمعه وتراكمه، وهذا المعنى يستحصل في المعاني الحقيقية المحسوسة قبل شيوعها في المجاز وذلك باعتبارات مختلفة بحسب تنوع الحرف الثالث. فقد لا يغلب أحد المعنيين على الآخر – أعني الإحاطة فالجمع – كما في حَوْضُ الماء إذ يلحظ فيه الإحاطة والجمع معا فيقال: " اسْتَحْوَضَ الماء: اجتمع. ومنه قولهم: أنا أُحَوِّضُ ذلك الأمر، أي أدور حوله، مثل أُحَوِّطُ"[75]. وكذا الحائِطُ وهو من حاطَهُ يَحوطُهُ حَوْطاً وحيطَةً وحِياطَةً، والحمارُ

يَحوطُ عانَتَهُ، أي يجمعها[76]. ومن الجذر (حوف) يقال: حافَتا الوادي: جانباه[77]. وربما لا يظهر معنى الإحاطة والجمع إلا تصوُّرا كما في (حاكَ) الثوب يَحوكُهُ حَوْكاً وحِيَاكَةً: نسجَه[78]، وفي (حاذ) الإبل يحوذها أى ساقها سوقا عنيفا[79]، ومنه قوله تعالى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ } [المجادلة: 19] أي استاقهم مستوليا عليهم أو من قولهم استحوذ العير على الأتان أي استولى على حاذييها أى جانبى ظهرها[80].

وربما يغلب على قسم آخر منها معنى جمع الشيء وتراكمه والرغبة في تحصيله وهذا نتيجة للمعنى الرئيس كـــ " الحَوْزُ: الجمع. وكل من ضمَّ إلى نفسه شيئاً فقد حازَه حَوْزاً وحِيازَةً، وقد حَاز الإبل يَحُوزُها ويَحيزُها، وحزت الشيء أحوزه حوزا، وحمى حوزته أي جمعه وتحوزت الحية وتحيزت أى تلوت[81]، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال: 16] أي صائرا إلى حيز وذلك كل جمع منضم بعضه إلى بعض[82]. و "حُشْتُ الصيدَ أَحوشُهُ، إذا جِئْتَهُ من حوالَيْهِ لتصرفه إلى الحِبالَةِ. وحُشْتُ الإبلَ: جمعتُها وسقتُها. والحائِشُ: جماعةُ النخلِ، لا واحد له، كما قالوا لجماعة البقر: رَبْرَبٌ"[83]. والحوي مصدر حويت أحوي[84]. ومنه الحوايا {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام: 146] والحوايا ما اشتمل على الأمعاء[85]. ويلحظ معنى الجمع في (حوص) باعتبار آخر هو مآله إلى معنى التضييق كاجتماع جفني العين في الأحوص فـــ" الحَوَصُ بالتحريك: ضيقٌ في مُؤْخِر العين والرجلُ أَحْوَصُ "[86]، ويبدو أنّ أصل هذا في فرج الناقة إذ يقال:" الحائِصُ: الناقةُ التي لا يجوز فيها قضيبُ الفحل، قال الفراء: الحائِصُ مثل الرَتْقاء في النساء"[87].

وقد يغلب على قسم من المشتقّات معنى الدوران وهو بمنزلة الإحاطة له وهذه مقدمة للمعنى الرئيس كـــ" حَاتَ الطائرُ على الشيء يَحوتُ، أي حامَ حوله "[88]. و"حام الطائرُ وغيره حولَ الشيء يَحوم حَوماً وحَوَماناً، أي دار "[89]. ويقال: " حالَ عليه الحَوْلُ، أي مرّ... وقعدوا حَوْلَهُ وحوالَهُ، وحَوْلَيْهِ وحَوالَيْهِ"[90]. وقد تكون الإحاطة معنوية كما في (حاق) ومنه قوله تعالى: {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [النحل: 34] و {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43] و" معنى يحيق: يحيط وينزل"[91]. ولما كان الدوران يؤدي معنى العودة إلى نقطة البدء غلب هذا على قسم آخر منها كـــ" حارَ يَحورُ حَوْراً وحُؤُوراً: رجع "[92]. وأصله من "حار الماء في الغدير تردد فيه، وحار في أمره تحير ومنه المحور للعود الذي تجرى عليه البكرة لترده ، والقوم فى حوار : فى تردد "[93] و" الحور التردد إما بالذات وإما بالفكر، وقوله عز وجل {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} [الانشقاق: 14] أي " لن يرجع إلى الله تعالى تكذيباً بالمعاد. يقال: لا يحور ولا يحول، أي: لا يرجع ولا يتغيّر. قال لبيد[94]:

... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) : ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حوري، أي: أرجعي"[95] والمحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، وقيل حوّرت الشيء بيّضته ودوّرته ومنه الخبز الحوار[96]. والحَوَر ظهور قليل من البياض فى العين من بين السواد "[97] .

وقد يغلب الاستعمال المجرد على بعض الجذور كما في (حوج) إذ " الحاجة إلى الشيء الفقر إليه مع محبته "[98] وفي هذا جمع معنوي لا محسوس كما في الحوز.

وصفوة القول فيما سبق أنّ كلّ هذه التنوعات الاشتقاقية المجتمعة على معنى عام هو الإحاطة فالجمع تفصح عن إن معنى (حوبا) يظهر أصله في زجر البعير كما ذكروا والمحصل منه هو الهيمنة على مال اليتيم كي يكون مآله إلى ذات المهيمن وأقرب نظائر الحوب إلى معناه بين نظائره هما الحوز والحوذ معا لكن الحوز والحوذ قد يكونان حقا أو باطلا أما الحوب فلا يكون إلا بالباطل وقد اكتسب الحوب هذا المعنى القطعي الناصع الذي لا يقبل التأويل بغير البطلان من تثليثه بالباء ذي الجرس الانفجاري المجهور على حين احتمل الحوز والحوذ حقا وباطلا لما في ثالثهما الزاي والذال من جرس رخو مستطيل مجهور يوحي بسعة مدلولهما وشموله.

أثر سياق الآية في بيان دلالة (حوبا)

ذكروا لحرف الجر (إلى) في قوله تعالى: { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} [النساء: 2] أوجُها هي:

الأول، وهو قول الكوفيين: إن (إلى) بمعنى (مع)، واحتجّوا بما روي عن مجاهد أن معنى الآية: ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم[99].

الثاني: رأي البصريين، وهو إن حرف الجر (إلى) باق على معناه وفعل الأكل هو الذي ضُمّن معنى الضم والإضافة والمعنى: لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوهما جميعا[100]. واختار الزمخشريّ هذا الوجه فرأى أنّ " الآية حقيقتها: ولا تضمّوها إليها في الإنفاق، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال"[101]. ووصف ابن عطية قول من يضمّن (إلى) معنى (مع) بأنه " غير جيد " وقول من ضمن فعل الأكل معنى الإضافة والضم بأنه قول الحذاق[102]. واعتذر لتأويل مجاهد بأن " هذا تقريب للمعنى، لا أنه أراد أنّ الحرف بمعنى الآخر"[103] .

الثالث: وهو وجه ذكره الطبرسيّ وفيه جمعٌ لقول الكوفيين والبصريين معا وهو أن يكون الأكل متضمنا معنى الخلط والحرف (إلى) بمعنى الباء والمعنى: " لا تخلطوا الجيد من أموالهم بالرديء من أموالكم فتأكلوها "[104]. ونقل " عن مجاهد أنه قال: الآية ناهية عن الخلط في

الإنفاق، فإن العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة أيتامها فنهوا عن ذلك، ثم نسخ منه النهي بقوله: {وإن تخالطوهم فإخوانكم} [البقرة: 220] "[105].

الرابع: أن تكون " (إلى) على بابها وهي ومجرورها متعلّقة بمحذوف على أنَّه حال، أي: مضمومة، أو مضافة إلى أموالكم "[106].

وتعدّ مسألة تناوب حروف الجرّ من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، فالقول بجواز قيام بعض الحروف مقام بعض هو قول الكوفيين الذين رأوا أنّ (إلى) في قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} [ص:24] معناه (مَعَ نِعَاجِهِ)، و(إلى) في قوله تعالى: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [الصف:14] معناه (مع الله)، وغير ذلك كثيرٌ شائع. على حين ذهب البصريُّون إلى أنّ الْعَرَبَ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ، ورأوا أنّ الصحيح في مثل هذه الآيات أن يقال: يُضَمَّن الفعل معنى آخر، وخطّؤوا مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ يَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ، فقوله تعالى: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ)، ضمّن كلمة (سؤال) معنى الضم والإدخال والإضافة، فعدّاه بـــ (في)، وقوله تعالى (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) " لما كان معناه: من ينضاف في نُصرتي إلى الله فجاز لذلك أن تأتي هنا إلى "[107]. ونسب المرادي قول البصريين إلى المحققين[108]. ووُصِف مذهب الكوفيين بأنه قول ظاهريّة النحاة، ومذهب البصريين بأنّه قول فقهاء أهل العربية[109]. والضابط هنا هو حرف التعدية نفسه فإنه هو

الذي يشير إلى الفعل المضمَّن، وعلى المفسِّر أن ينظر في السياق، وينظر في الفعل المضمّن المناسب لهذا الموضوع. فالذين يستسهلون هذه الأسلوب ويقولون: هو من باب تناوب أحرف الجر ؛ فعلهم هذا لا يتناسب مع عظمة الأسلوب القرآني الذي لم يأتِ فيه لفظ ولا حرف إلا لمعنى. وتأويل (إلى) بـــ(مع) يفيد معنى الخلط وهذا ليس منهيا عنه كما في قوله تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة:220] فضلا عن أنّه بمنزلة الوديعة واجبة الردّ حين الطلب لأنّ المعية مؤقّتة لا دائمة.

ويبدو أن هذا النمط من التعدية بالحروف غير المألوفة مع الأفعال يوحي بالقطع فالائتناف في المعنى دون اللفظ وذلك إنّ النهي عن الأكل قد تمّ في (لا تأكلوا أموالهم) وجاء التركيب (إلى أموالكم) يبيّن حال هذا النمط من الأكل المنهيّ عنه فهو أكل منهيّ عنه في هذه الحال، أي في حال توافر أموالكم فلا تأكلوا مال اليتيم، أما إذا كنتم فقراء فكلوا بالمعروف ولا تُسرفوا ولا تبادروا كما في آيات أخرى أجازت أكل مال اليتيم بشروط. وأقرب الأوجه إلى القبول هو الأخير، ولكنّه أقرّ محذوفا في سياق الآية يُعرب حالا والأولى أن يكون الحال هو شبه الجملة (إلى أموالكم) كي يفهم عدم وقوع فعل الأكل عليها بل هي حال له. فتكون (إلى) باقية على

معناها الرئيس وهو الدلالة على الغاية والمآل، وكان يمكن أن يكتفي التعبير القرآني بالنهي عن أكل مال اليتامى لأن ما بعده في حكم الفضلة نحويّا، ولكن جاء التقييد بـــ(إلى أموالكم) مع إنّها مأكولة بلا حرج "لأنّهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنَعى عليهم فعلهم وَسَمّع بَهم، ليكون أزجر لهم "[110].

ولما كان الأكل بمعناه العام مباحا تطلب النهي عن الأكل وضع شرط له في هذه الآية وهو (إلى أموالكم) أي إن الأكل منهي عنه إذا صار مآل المنفعة منه لكم دون اليتامى وهذه هي دلالة الحرف (إلى) الحقيقية التي تفصح عن جمع مالين أحدهما طيب والآخر خبيث فيكون المحصّل (حوبا كبيرا) وهو وصف ظاهر للماديات .

ثم إنهم ذكروا للهاء في {إِنَّهُ كَانَ حُوباً} ثلاثة أوجه[111]:

أحدها: أنها تعود على الأكل المفهوم، من (لا تأكلوا).

الثَّاني: على التبدُّلِ المفهوم من (لا تَتَبَدَّلُوا الخبيث).

الثالث: عليهما معا كما عاد اسم الإشارة على اثنين في نحو:{عَوَانٌ بَيْنَ ذلك} [البقرة:68].

ولما اكتفى الطبريّ بوجه واحد هو أن تكون الهاء في (إنه) " دالة على اسم الفعل، أعني الأكل"[112] استظهر أكثرهم الوجه الأول"[113]. " لأنه أقرب مذكور "[114]. أي إنّ الهاء تعود على ضمير المصدر الذي دل عليه تأكلوا، والتقدير: الأكل والأخذ كان حوبا كبيرا[115]. وذكر الزّجّاج عدة أمثلة من عود الضمير على محذوف يدل عليه المعنى السابق منها قوله تعالى {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ} [البقرة: 271] أي فنعم شيئاً إبداؤها، فحذف المضاف، وهو إبداء، فانفصل الضمير (ها) فصار (هي) لأن (ها) يتصل بالاسم فإذا انفصل قيل (هي) وقوله تعالى: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} [المائدة: 117][116]، وكذا قوله تعالى " إنه كان حوباً كبيراً " أي إنّ أكله. فيكون عود الضمير على معنى عام مفهوم من السياق هو جمع مال اليتيم إلى المال الخاص فالشروع بأكله أولا حتى نفاده وأقرب الأوجه التي ذكر في عود الضمير في (إنه) إلى هذا هو الثالث الذي أعاده على التبدّل والأكل معا .

وفي الآية قرينة واضحة على وجوب الفصل بين مال اليتيم وأموالهم لا ضم بعضها إلى بعض، بلا تأويل لحرف الجر بحرف المعية أو تضمين فعل الأكل معنى الضم في قول الفريقين، تلك القرينة هي قوله تعالى: (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) فالمجرور بالباء هو المتروك، والمنصوب هو المحصل، والفعل هنا من باب التفعّل الذي يفيد معنى التدرج في حصول الفعل حتى الفراغ منه مع تكلف الإتيان به أي حمل النفس على ما تكرهه من ترك الطيب وأكل الخبيث وهذا التأويل ملائم لإعراب شبه الجملة (إلى أموالكم) بأنها منصوبة على الحال وليس فعل الأكل واقعا عليها، أما تفسير تبدّل باستبدل كما قال ابن عادل وغيره: " تفعل

هنا بمعنى استفعل، وهو كثير، نحو تَعَجَّل وَتَأَخَّرَ بمعنى استعجل واستأخر"[117]. فمردود لأن الاستبدال يحصل دفعة واحدة من دون تدرج ولا تكلف وهذا لا يلائم معنى أكل المال عموما فضلا عن مال اليتامى .

(حُوبا) لدى المفسرين

نقل المفسّرون عن أهل التأويل عدّة أوجه في بيان معنى (حُوبا) معظمها تشير إلى أنّها مصدر، وتفاوت المفسرون في الاختيار بين تلك الأوجه وهي:

الأول: إنّ الحُوب هو الإثم، ومعنى (حوبا كبيرا): إثما كبيرا وهو ما أخرجه الطبريّ وغيره من عدّة طرق عن ابن عباس[118]، وعن آخرين ذكرهم الواحديّ في قوله: إن تأويل الحوب بالإثم مروي – فضلا عن ابن عباس– " عَنِ الْحَسَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَابْنِ سِيرِينَ، وَالسُّدِّيِّ، وَالضَّحَّاكِ , وَقَتَادَةَ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَأَبِي سِنَانٍ "[119]. وأخرج ابن الأنباريّ والطبرانيّ وغيرهما[120] عن ابن عباس أن نافعًا بن الأزرق سأله عن قوله {حوباً} فقال: إثماً بلغة الحبشة قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول الأعشى[121]:

فإني وما كَلَّفْتُموني بِجَهْلِكم ويَعْلم ربَي من أَعَقَّ وأَحْوَبا

وهذا التأويل " هو المرويّ عن السيدين الباقر (عليه السلام) والصادق (عليه السلام) إنّه كان حوبا كبيرا أي إثما عظيما "[122]. وذكر ابن كثير أنّ ابن مَرْدُويه روى هذا التأويل "عن أبي هريرة قال: سئِل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله: {حُوبًا كَبِيرًا} قال: إثما كبيرًا"[123]. ولكنه ضعف نسبته إلى النبي (صلى اله عليه وآله) لأنّ الحديث " في إسناده محمد بن يونس الكُدَيْمي وهو ضعيف "[124].

وعُضد هذا التأويل بما روي في الأثر " عن ابن عباس: أن أبا أيوب طَلَّق امرأته، فقال له النبي صلى الله عليه وآله "يا أبا أيوب، إن طلاق أم أيوب كان حوبا"[125]. وروي مثل هذا باختلاف اسم المطلّق عن " أنس بن مالك يقول: أراد أبو طلحة أن يطلق أم سُليم فقال النبي صلى الله عليه وآله: "إن طلاق أم سليم لحوب"[126] فكفّ. ومن هنا استظهروا أن يكون المراد بالحوب الإثم وهو ما اختاره جمع غفير من المفسرين منهم الفراء والأخفش والطبريّ والطوسيّ والواحديّ والطبرسيّ والثعلبيّ وابن عطية والماوردي والبغويّ والرازيّ والقرطبيّ وأبو حيان وابن كثير والشوكانيّ وغيرهم[127].

الثاني: الحوب الظلم وهو ما نقله الطبريّ وغيره عن قتادة وعن ابن عباس من طرق أخرى[128]. ورأى الألوسيّ أن تأويل (حوبا) بـــ" إثماً أو ظلماً كلاهما عن ابن عباس وهما متقاربان"[129].

الثالث: الحوب الذنب، ومعنى (حوبا كبيرا) : ذنباً عظيماً لأهل الإسلام وهو ما نقله الطبريّ عن ابن زيد[130] ثم اختاره الزمخشريّ والنسفي والبيضاوي وأبو السعود وابن عادل والسمين الحلبيّ والشنقيطيّ[131]، وعلى هذا المعنى حمل الزمخشريّ قوله (صلى الله عليه وآله): " إن طلاق أم أيوب لحُوب " فكأنه قيل: إنه كان ذنباً كبيراً[132].

الرابع: الحوب القتل وهذا ما نقله الفراء عن بعض بني أسد أنه قال: " نزلنا منزلا قريباً من مدينة، فرمى رجل عظاية صغيرة (فقيل له): يا حاجّ لا تقتلها فتصيب حوباً إنها لا تؤذي، ومنه قيل للقاتل حائب"[133]. فكأنّ المعنى إن أكل مال اليتيم كالقتل له فيكون التركيب محمولا على التشبيه البليغ كتشبيه البصر بالحديد في قوله تعالى {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: 22].

الخامس: الحوب: الخطأ وهو ما جاء في قول الواحديّ: " حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ الدُّورِيُّ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَنْبَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الرازيّ، عَنِ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ: " " حُوباً كَبِيراً " قَالَ: خَطَأً عَظِيماً ". ومنه الحديث المروي في سنن أبي داود: "اغفر لنا حوبنا وخطايانا"[134]. والمعنى: إن أكلكم أموالهم مع أموالكم خطأ كبير فاجتنبوه.

السادس: الحوب: الحزن، وسوء الحال، والتحوّب: التحزن، وهو ما جوّزه الطوسيّ والطبرسيّ وغيرهما نقلا عن أئمة اللغة[135]. ومنه قول أبي دؤاد الإيادي[136]:

وكلُّ حصنٍ وإن طالت سلامتُهُ يوماً ستدركه النكراءُ والحوبُ

السابع: الحوب: حجاب الحق، وهذا حاصل قول الألوسي في تفسير " {إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: 2] أي حجاباً عظيماً "[137].

الثامن: الحوب ما تُخرج الأرض من أثقالها. وهذا ما نقله العياشي " عن سماعه بن مهران عن أبى عبد الله عليه السلام وأبى الحسن عليه السلام انه قال:" حوبا كبيرا " قال: هو مما تخرج الأرض من أثقالها"[138].

التاسع: الحوب بمعنى الوجع وهذا ما نقله الرازيّ عن القفال الذي قال: " وكأنّ أصل الكلمةِ من التَّحوُّبِ وهو التَّوجُّعُ، فالحوبُ هو ارتكاب ما يتوجَّعُ المرتكبُ منه"[139]. وأنس ابن عادل بهذا فعضده بأمثلة الاشتقاق في المعجم العربي والشعر الفصيح إذ " يقال: حَابَ يَحُوب، حَوْباً، وحَاباً وحِيابة. قال المخبل السعدي[140]:

فلا يَدْخُلَنَّ الدَّهْرَ قَبْرَكَ حُوبُ فَإِنَّكَ تَلْقَاهُ عَلَيْكَ حَسِيبُ"[141].

ويبدو أن إطلاق الحوب على الإثم أو الذنب أو الحزن أو غير ذلك فيه قصور عن مدلول اللفظة التي يدل جذرها المعجمي على ضرب من الإحاطة فالجمع ،ومن ثم يكون المحصّل من وصف طلاق أم أيوب بالحوب هو أن أبا أيوب قد اكتسب بسوء فعله جملة من الآثام ولكنها لا ترتقي إلى تطليق زوجه ورفيقة عمره فإن طلقها فقد جمع إثما إلى آثام سلفت منه وحينئذ

يتحقق مدلول الحوب . أما كون الحوب بمعنى الحزن في شعر أبي دؤاد الأيادي فمعنى الجمع مستحصل فيه من قبيل إن الشاعر يصف حصنا منيعا وهو القصر المنيف الذي تتعاقب الأمراء والحكام على المكوث فيه فما إن يضمحل عرش أحدهم حتى يبزغ فجر عرش غيره وهذا تعاقب للحزن في نظر الحاشية وأهل البلاط ولكنه في الحقيقة آثام تراكمت في هذا الحيز بفعل أمراء السوء الذين شغلوا ببناء قصورهم ونسيان قبورهم .

نظائر (حوبا) في التعبير القرآني.

يمكن جمع الألفاظ التي فسّرت بها لفظة (حوبا) ومنها: (إثم، خطأ، ذنب، ظلم) في حقل دلالي واحد ، فهذه الأربعة –فضلا عن حوبا– كل واحد منها فُسّر بنظائره كما في قول البيضاوي: والـــ " {خطأ} الإثم يقال خطىء خطأ كأثم إثماً "[142]. وهذه الأربعة وإن كانت تقترب من معنى (حوبا) لكن الفرق بينها وبين اللفظة ظاهر في التعبير القرآني ، فلفظة (الحوب) تعني الإحاطة بالشيء فجمعه مثل ما سبق بيانه على حين تنصرف نظائر (حوبا) إلى معان أخرى باعتبارات مختلفة ذلك " إنّ الإثم في أصل اللغة التقصير، يقال: أثم يأثم إذا قصّر، ومنه قول الأعشى[143]:

جُمالِيَّةٌ تَغْتَلي بالرِّداف إذا كَذَبَ الآثِماتُ الهَجيرا

الاغتلاء: بُعد الخطو، والرداف: جمع رديف، وعنى بالآثمات المقصّرات ومن ثم سمّي الخمر إثما لأنها تقصر بشاربها لذهابها بعقله "[144]. ومن هنا نُعت أخذ مال الزوج المطلقة بالإثم لأنه قصور عن إيتاء الحق {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [النساء: 20]. وأبين مصاديق التقصير عن الفطرة السليمة أن يُفترى على الله الكذب كما في قوله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا} [النساء: 50]. وأعظم أنماط التقصير عن هذه الفطرة الشرك بالله {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]. وكذا رمي المؤمنين والمؤمنات بالموبقات وقذفهم بما ليس فيهم {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [النساء: 112] و{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: 58].

وأما الخطأ فالفرق بينه وبين الحوب هو القصد والتعمّد في الحوب، و" الخطيئة قد تكون من غير تعمّد "[145]. وأصل الخطأ العدول عن الجهة، والحوب أصله الزجر، وفي كليهما لا بد من الإرادة لكن المخطئ " يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد، فيقال: أخطأ إخطاء فهو مُخطئ، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ فى الفعل "[146]. ومن هنا لا يستحق القتل الخطأ تعزير القاتل لأنه لم يتعمده كما في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا

خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ} [النساء: 92]. ولما كان أصل الخطأ هو العدول عن الجهة بإرادة فقد يراد به فعل غير ما تحسن إرادته وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان، يقال خطئ يخطأ خَطَأً وخِطْأً[147] كما في قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} [الإسراء: 31].

وأما الذنب فأصله الإتباع لأنه مشتقّ من ذنب الدابة وهو آخر عضو منها فضلا عن قبحه قياسا إلى سائر أعضائها. ومن هنا كان معنى " الذنب ما يتبعه الذم أو ما يُتتبّع عليه العبد من قبيح فعله، وذلك أن أصل الكلمة الإتباع... والأصل في الذنب الرذل من الفعل كالذنب الذي هو أرذل ما في صاحبه "[148]. ويقترب الحوب من الذنب في كونهما يتّضح فيهما معنى التبعة والتأخر والقبح، لكن الفرق بينهما يظهر من كون الذنب مراعًى فيه العُضو الظاهر في الدابة، والحوب مراعى فيه صوت زجرها لأنّ "الحوب يفيد أنه مزجور عنه وذلك أن أصله في العربية الزجر ومنه يقال في زجر الإبل: حوب حوب وقد سمي الجمل به لأنه يزجر، وحاب الرجل يحوب وقيل للنفس حوباء لأنها تزجر "[149].

وأما الظلم فأصل اشتقاقه من الظلمة بمعنى انعدام النور، وهو مجاز من هذا. لأنه " يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير ولذلك قيل لآدم في تعديه: ظالم وفي إبليس: ظالم وإن كان بين الظُّلمين بون بعيد "[150]. وقد ورد الظلم في التعبير القرآني نعتا لأكل مال اليتيم، وذلك لمّا وُصف هذا الأكل بالحوب الكبير لم يتضح مبلغه من الكبائر تشخيصا وتمثيلا، فجاء تشبيه ذلك وتصويره للعيان في قوله تعالى: {إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليتامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا} [النساء: 10]. وفي تأويل {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً} قولان:

الأوّل: أن يجري ذلك على ظاهره، والمحصل منه أنّ آكل مال اليتيم " يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه وأذنيه وعينيه، يعرف كل من رآه أنه أكل مال اليتيم "[151].

والآخر: إن ذلك توسع في المعنى وتشبيه، " والمراد: ان أكل مال اليتيم جار مجرى أكل النار من حيث انه يفضي إليه ويستلزمه، وقد يطلق اسم أحد المتلازمين على الآخر، كقوله تعالى: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى:40] "[152].

والقرينة اللفظية (يأكلون) ترجّح كون المراد به وصف أكل مال اليتيم في الدنيا بالنار الكامنة في البطون التي سيظهر لهيبها لاحقا، ومن هنا ذكر (في بطونهم) مع إنّ الأكل لا يكون إلا فيها إشارة إلى إن تلك البطون وعاء للنار تجمعها إلى حين، لأنهم (سَيَصْلَوْنَ سَعِيرا). وذِكر (ظلما) في الآية " يُشْعِرُ بأن الولي يجوز له أن يأكل بقدر الحاجة، وهو المفهوم من قوله تعالى {فَلْيَأْكُلْ بالمعروف} وقوله تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً} وأصل " السّرف تجاوز

الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك فى الإنفاق أشهر "[153]. وأما بدار فمعناه " مسارعة، يقال: بدرت إليه وبادرت، ويعبر عن الخطأ الذي يقع عن حدّه بادرة، يقال: كانت من فلان بوادر في هذا الأمر"[154]. فهذا " يدل على أن مال اليتيم قد يؤكل بغير ظلم، وإلاَّ لم يكن لقوله {ظُلْماً} معنى "[155].

الخاتمة

(حوبا) لفظة قرآنية فريدة وردت في ختم الأية الثانية من سورة النساء لتصف أكل مال اليتامى وقد اضطربت أقوال أهل التأويل والتفسير في بيان معناها فحسم البحث هذا الاضطراب في مدلول اللفظة مستندا إلى بنائها الصيغي على (فُعل) الذي يفصح عن إنّ الحوب المضموم الفاء هو اسم استعمل في الآية المباركة ليتناسب مع دلالتها على الظلم المادي الواقع على اليتامى الذي تلحظ تبعاته على البشر من فقر الحال وشظف العيش وفقد المأوى .

وتعددت المعاني التي ذكرها اللغويون في بيانهم معانى مشتقات الجذر (حوب) بعضها من المحسوس وأكثرها جار في المعنويات. وتتبّع التطور الدلالي لمشتقات هذا الجذر الكثيرة التي ذكرها اللغويون دونما ترتيب يستدعي أن يكون الأصل في المادة (حَوْبِ) هو إنها كلمة زَجْر للبَعير ليَمْضِي، ثم شاعت اللفظة في المجاز لتطلق على جمع المال والإحاطة به كما يحاط بالإبل عند زجرها .

وتكاد تجتمع نظائر الجذر (حوب) في باب الاشتقاق الأكبر على معنى عام هو الإحاطة بالشيء بغية جمعه وتراكمه، وهذا المعنى يستحصل في المعاني الحقيقية المحسوسة قبل شيوعها في المجاز وذلك باعتبارات مختلفة بحسب تنوع الحرف الثالث. وأقرب نظائر الحوب إلى معناه بين نظائره هما الحوز والحوذ معا لكن الحوز والحوذ قد يكونان حقا أو باطلا أما الحوب فلا يكون إلا بالباطل وقد اكتسب الحوب هذا المعنى القطعي الناصع الذي لا يقبل

التأويل بغير البطلان من تثليثه بالباء ذي الجرس الانفجاري المجهور على حين احتمل الحوز والحوذ حقا وباطلا لما في ثالثهما الزاي والذال من جرس رخو مستطيل مجهور يوحي بسعة مدلولهما وشموله.

وفي الآية قرينة واضحة على وجوب الفصل بين مال اليتيم وأموالهم لا ضمّ بعضها إلى بعض، بلا تأويل لحرف الجر بحرف المعية أو تضمين فعل الأكل معنى الضم في قول الفريقين، تلك القرينة هي قوله تعالى: (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) فالمجرور بالباء هو المتروك، والمنصوب هو المحصل، والفعل هنا من باب التفعّل الذي يفيد معنى التدرج في حصول الفعل حتى الفراغ منه مع تكلف الإتيان به أي حمل النفس على ما تكرهه من ترك الطيب وأكل الخبيث وهذا التأويل ملائم لإعراب شبه الجملة (إلى أموالكم) بأنها منصوبة على الحال وليس فعل الأكل واقعا عليها

ويمكن جمع الألفاظ (إثم، خطأ، ذنب، ظلم، حوب) في حقل دلالي واحد ، فكلّ واحد من هذه الألفاظ فُسّر بنظائره لكنها وإن كانت تقترب من معنى (حوبا) يظهر الفرق بينها وبين اللفظة في التعبير القرآني ، فلفظة (الحوب) تعني الإحاطة بالشيء فجمعه مثل ما سبق بيانه على حين تنصرف نظائر (حوبا) إلى معان أخرى باعتبارات مختلفة .

هوامش البحث

---

1 الدّر المنثور 117/2.

2 ظ: التكملة 447 والمخصص 167/13.

3 ظ: تهذيب اللغة 443/3 والصحاح 151 ومختار الصحاح 91.

4 ظ: العين 257/1.

5 ديوان النابغة 105.

6 ديوان الراعي النميري 290

7 تهذيب اللغة 443/3

8 لسان العرب 187/3

9 المخصص 217/4.

10 العين 257/1 وينظر: المحيط 83/2.

11 جامع البيان 54/29/14-55

12 ظ: تهذيب اللغة 173/2 والصحاح 271 ولسان العرب291/5

13 المحكم والمحيط الأعظم 87/2.

14 ظ: البرهان 160 والإتقان 162/1.

15 ظ: التكملة 447.

16 الصحاح 780 وينظر: المفردات 611

17 ظ: الفخر الرازيّ 108/22/8

18 معاني القرآن وإعرابه 316/3

19 العين 1698/3

20 المفردات 766

21 الكشاف 57/4

22 المحيط في اللغة 303/2.

23 تهذيب اللغة 370/4.

24 ظ: المفردات 152

25 ظ: المفردات 112

26 ظ: المفردات 436

27 ظ: المفردات847

28 لسان العرب 362/8

29 المفردات 207

30 الكشاف 444/2

31 ظ: الكشاف 444/2والمفردات 79

32 ظ: الكتاب28/4.

33 العين 801/2

34 مختار الصحاح 292

35 المفرادت 446

36 الكشاف 568/1

37 الكشف والبيان 224/2.

38 جامع البيان 290/4/3، وينظر: إعراب القرآن للنحاس 205/1.

39 ظ: الفخر الرازيّ 148/9/3 وأنوار التنزيل 199/1 واللباب في علوم الكتاب 156/6.

40 ظ: الجامع لأحكام القرآن 10/5 تفسير القرآن العظيم 6/2.

41 ظ: الكشاف والدر المصون 315/4 والبحر المحيط 489/3 واللباب في علوم الكتاب 155/6 والبحر المديد 6/2 والدر المنثور 32/3.

42 الصحاح 270 وينظر: تهذيب اللغة 196/2 ولسان العرب 289/5.

43 الفخر الرازيّ 148/9/3.

44 ظ: التبيان للطوسي 99/3 ومجمع البيان 10/4/3 وروح المعاني 452/4.

45 المحرر الوجيز 6/2 وينظر: البحر المحيط 489/3.

46 معاني الفراء 253/1.

47 الكشاف 496/1

48 مقاييس اللغة 286

49 ظ: جامع البيان 290/4/3 والجامع لأحكام القرآن 10/5 والبحر المحيط 489/3 والدر المنثور 32/3 واللباب في علوم الكتاب 156/6 وإرشاد العقل السليم 244/2 والبحر المديد 6/2.

50 ظ: البيت في لسان العرب (حوب) برواية: فلا يَدْخُلَنَّ الدَّهْرَ قَبْلَك حوبةٌ يَقُوم بِها يَومًا عَلَيْكَ حَسِيبُ

51 ظ: البيت لأمية بن أبي الأسكر في في الخزانة 405/2.

52 الفخر الرازيّ 148/9/3 وينظر: الجامع لأحكام القرآن 10/5 وفتح القدير 76/2.

53 ظ: المحتسب 18/2

54 ديوانه 154

55 ديوانه 13

56 ظ: العين 439/1 والمحيط في اللغة 256/1 وجمهرة اللغة 285/1 وتهذيب اللغة 196/2 والصحاح 271 ولسان العرب 289/5.

57 ظ: العين 439/1.

58 ظ:المحيط في اللغة 256/1.

59 ظ: العين 439/1 والمحيط في اللغة 256/1

60 ظ: العين 439/1 والمحيط 256/1

61 ظ: غريب الحديث 20/2 ولسان العرب 289/5.

62 ظ: المحيط 256/1

63 ظ: أساس البلاغة 142

64 ظ: أساس البلاغة 142

65 ديوانه 36

66 ظ: العين 439/1 والمحيط 256/1 وجمهرة اللغة 285/1-286.

67 ظ: المحيط 256/1

68 ظ: جمهرة اللغة 285/1-286.

69 ظ: المحيط 256/1

70 ط: المحيط256/1

71 ظ: الكشاف

72 ظ: روح المعاني 295/27

73 إرشاد العقل السليم 244/2.

74 روح المعاني 542/4.

75 الصحاح 274 والمفردات 265

76 ظ: الصحاح 274 والمفردات 265

77 ظ: الصحاح 274 والمفردات 266

78 ظ: الصحاح 274.

79 ظ: المفردات 262 والكشاف

80 الصحاح 272 والمفردات 262

81 الصحاح 273 والمفردات 264

82 المفردات 263-264.

83 الصحاح 273

84 الصحاح 278

85 الكشاف

86 الصحاح 274 والمفردات 265

87 الصحاح 274

88 الصحاح 271

89 الصحاح 278

90 الصحاح 275 والمفردات 266

91 الكشاف

92 الصحاح 272 والمفردات 262

93 المفردات 262

94 ديوانه وصدر البيت: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه...

95 الكشاف

96الصحاح 272 والمفردات 262

97 المفردات 262

98 المفردات 263

99 ظ: معاني القرآن للفراء ومعاني القرأن للأخفش326 والنكت والعيون448/1 ومعالم التنزيل309/1 ومجمع البيان 10/4/3 والدر المنثور 32/3 واللباب في علوم الكتاب 155/6 وفتح القدير 76/2.

100 ظ: الوجيز 116/1 والكشاف 496/1 والمحرر الوجيز 6/2 ومجمع البيان 9/4/3 واللباب في علوم الكتاب 156/6 وإرشاد العقل السليم 244/2 وفتح القدير 76/2.

101 الكشاف 496/1

102 ظ: المحرر الوجيز 6/2

103 نفسه

104 مجمع البيان 10/4/3.

105 المحرر الوجيز 6/2.

106 اللباب في علوم الكتاب 156/6 وينظر: الفخر الرازيّ 148/9/3.

107 الخصائص 306/2-310، 435.

108 ظ: الجنى الداني ص46.

109 ظ: بدائع الفوائد 21/2.

110 الكشاف 495/1-496.

111 ظ: التبيان للطوسي 98/3 -99 والبحر المحيط 489/3 والدر المصون 315/4 واللباب في علوم الكتاب 156/6 وروح المعاني 542/4.

112 جامع البيان 289/3.

113 التبيان للطوسي 98/3، وينظر: الجامع لأحكام القرآن 10/5 واللباب في علوم الكتاب 155/6 والدر المصون 316/4.

114 الدر المصون 316/4 وينظر: اللباب في علوم الكتاب 156/6.

115 ظ: التبيان للعكبري 246/1.

116 ظ: معاني القرآن وإعرابه 7/2.

117 اللباب في علوم الكتاب 156/6 وينظر: الوجيز 116/1 والتبيان للعكبري 264/1.

118 ظ: جامع البيان 289/4/3 والتبيان للطوسي 98/3 والوجيز 116/1 والدر المنثور 32/3

119 الوجيز116/1 وينظر: تفسير القرآن العظيم 6/2

120 ظ إيضاح الوقف والابتداء 12 والمعجم الأوسط 46/4 والدر المنثور 32/3 وروح المعاني 452/4.

121 ديوان الأعشى الكبير 23

122 مجمع البيان 9/4/3.

123 تفسير القرآن العظيم 6/2

124 نفسه

125 المعجم الكبير196/12 وينظر: الجامع لأحكام القرآن 8/5.

126 مجمع الزوائد 695/9 والجامع لأحكام القرآن9/5.

127 ظ: معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش وجامع البيان289/4/3 والتبيان للطوسي98/3 والوجيز 116/1 ومجمع البيان9/4/3والكشف والبيان224/2 والمحرر الوجيز6/2 والنكت والعيون ومعالم التنزيل والفخر الرازي148/9/3 والجامع لأحكام القرآن9/5 والبحر المحيط وتفسير القرآن العظيم6/2 وفتح القدير .

128 ظ: الدر المنثور 32/3

129 روح المعاني 452/4

130: ظ جامع البيان 290/4/3.

131 ظ: الكشاف496/1 ومدارك التنزيل 287/1 وأنوار التنزيل 99/1 وإرشاد العقل السليم 244/2 وأضواء البيان 126 واللباب في علوم الكتاب 155/6 والدر المصون 315/4.

132 ظ: الكشاف 568/1.

133 الكشف والبيان 224/2.

134 الوجيز 116/1

135 ظ: العين 439/1 والمحيط 256/1 والتبيان للطوسي 98/3 ومجمع البيان 10/4/3.

136 من شواهد تهذيب اللغة 196/2 ولسان العرب 289/5.

137 روح المعاني 542/4.

138 تفسير العياشي 432/1 وينظر: نور الثقلين في تفسير العياشي 439/1.

139 الفخر الرازيّ 148/9/3.

140 في لسان العرب (حوب) برواية تختلف قليلا.

141 اللباب في علوم الكتاب 156/6 وينظر: الجامع لأحكام القرآن 10/5.
142 أنوار التنزيل 199/1.
143 ديوانه 63
144 الفروق اللغوية 227 وينظر: مقاييس اللغة 59 والصحاح 28-29
145 الفروق اللغوية 227
146 المفردات 287
147 ظ: المفردات 287
148 الفروق اللغوية228
149 الفروق اللغوية 228
150 المفردات 537
151 الفخر الرازيّ 148/9/3.
152 الفخر الرازيّ 148/9/3.
153 المفردات 407.
154 المفردات 287
155 اللباب في علوم الكتاب 155/6.

المصادر والمراجع

- ✓ الإتقان في علوم القران : جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) تحـ : محمد أبي الفضل إبـراهيم، ط1، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، مصر ، 1387هـ /1967 م .
- ✓ أساس البلاغة : أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) ، قراءة وضبط وشرح د.محمد نبيل الطريفي ، دار صادر ، بيروت ، 2009 .
- ✓ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقران : محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي ، ط 1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت1996م
- ✓ إعراب القران : ابو جعفر احمد بن محمد بن النحاس (ت 338هـ) وضع وتعليق : عبد المـنعم خليـل ابراهيم ، ط1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1421هـ / 2001م .
- ✓ ايضاح الوقف والابتداء : لأبي بكر بن الانباري (ت328هـ) ، تحقيق د. محيي الدين عبـد الـرحمن رمضان ، دمشق 1391هـ / 1972م .
- ✓ البحر المحيط في التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ) ، عناية : الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر ، بيروت ، 1425 هـ ، 2005 م .
- ✓ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني ت 1224هـ تحقيق عمر أحمد الراوي دار الكتب العليمة بيروت 2010م .

- ✓ بدائع الفوائد : أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية (ت751هـ) ، تحقيق هاني الحاج ، تصحيح وتعليق دار التوفيقية للطباعة ، القاهرة (د.ت) .
- ✓ البرهان في علوم القران : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ) تحـ : محمد أبي الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية – مصر 1958م .
- ✓ التبيان في تفسير القران : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ) تحـ : احمد حبيب قصير العاملي ط1 ، بيروت 2010 .
- ✓ تفسير العياشي ، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندى المعروف بالعياشى ( )
- ✓ تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ابو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 982هـ) ، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2010
- ✓ تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت516هـ) ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1425هـ ـ 2004م .
- ✓ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت 685هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط4 ،
- ✓ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام محمد الرازي فخر الدين المشتهر بخطيب الري ت 604 هـ ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 2005 م.
- ✓ تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ) ، إشراف محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط5 ، دار صادر ، بيروت ، 2009 .
- ✓ التكملة ، أبو علي الحسين بن احمد الفارسي (ت377هـ) – تحقيق ودراسة : كاظم بحر المرجان – مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل – الموصل 1401هـ ، 1981م .
- ✓ تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت370هـ) ، تحقيق: عبد الله درويش ، ط1 ، الدار المصريّة للتأليف والترجمة .
- ✓ جامع البيان عن تأويل القران : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) ، طبعة مقابلة على الأجزاء المطبوعة بتحقيق الأستاذ محمود شاكر ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2002
- ✓ الجامع لأحكام القران : أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ) ، خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، الدار البيضاء 2005م .
- ✓ جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ) ، دار الكتب العلمية ، 2005 .
- ✓ الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي(ت749هـ) تحـ : د. طه محسن ، مطابع دار الكتب ، الموصل 1396 هـ /1976 م .
- ✓ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ودار الرفاعي الرياض (د.ت) .
- ✓ الخصائص ، ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار (395هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1990.
- ✓ الدر المصون
- ✓ الدر المنثور

- ✓ ديوان الأعشى
- ✓ ديوان الراعي
- ✓ ديوان الفرزدق
- ✓ ديوان الكميت
- ✓ ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الكويت ، 1962.
- ✓ ديوان النابغة
- ✓ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي،، تعليق محمد أحمد الأمل وعمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، ط1 ، 1999 .
- ✓ الصحاح ، معجم الصحاح قاموس عربي عربي مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398هـ) ، اعتنى به خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ،2008م.
- ✓ العين / ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) : تحـقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي ، طهران ، 1425هـ .
- ✓ غريب الحديث
- ✓ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر، بيروت ،لبنان، دط ، دت .
- ✓ الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت395هـ) ، ضبط وتحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتـب العلمية – بيروت ، د ت .
- ✓ الكتاب : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت180هـ) – تحـ : عبد السلام هارون – الطبعة الثالثة – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة 1408 هـ،1988م .
- ✓ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل : محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، ط1 ، دار الفكر ، 1977م
- ✓ الكشف والبيان في تفسير القرآن المعرو بتفسير الثعلبي ، أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي ت 427هـ ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004 .
- ✓ اللباب في علوم الكتاب ، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (880هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 .
- ✓ لسان العرب ، الإمام العلامة ابن منظور (ت711هـ) ، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت .
- ✓ مجمع البيان في تفسير القران : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) – الطبعة الثانية – دار الكتاب ، ودار الفكر – بيروت 1377هـ ، 1957م .
- ✓ مجمع الزوائد : علي بن بكر الهيثمي (807هـ) ، دار الريان للتراث ، القاهرة 1407هـ .
- ✓ المحكم والمحيط الأعظم : ابن سيده ت 458هـ ، تح جماعة ، القاهرة ، 1972م.

- ✓ المحرر الوجيز
- ✓ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصـــف ود. عبد الحليم النجار ود.عبد الفتاح شلبي ، مطابع التجارية ، القاهرة 1424هـ – 2004م .
- ✓ المحيط في اللغة ، الصاحب إسماعيل بن عباد (385هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ط1 ، دار الحرية ، بغداد ، 1401هـ ـ 1981م .
- ✓ مختار الصحاح ، زين الدين الرازي
- ✓ المخصّص ، ابن سيده علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (485هـ) ، تقديم د. خليل إبراهيم جفال تصحيح :مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي ، ط1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1417هـ ـ 1996م .
- ✓ معاني القرآن ، الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري (215هـ) ، تحقيق : د. فائز فارس ، ط3،دار البشير، دار الأمل،1401هـ 1981م .
- ✓ معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (207هـ)، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور ،1955م .
- ✓ معاني القران وإعرابه : ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت311هـ) – شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، 2005 .
- ✓ المعجم الأوسط ، أبو القاسم الطبراني (360هـ)
- ✓ المفردات في غريب القران : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت502هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .
- ✓ المقاييس في اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، تحـ : شهاب الدين ابو عمرو ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت 1418هـ ،1998 م .
- ✓ النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت450هـ) , تحـ : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , 2007 .
- ✓ نور الثقلين في تفسير العياشي ، الشيخ عبد على بن جمعة العروسى الحويزى (1112ه)
- ✓ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (468هـ) ،